وزارة التعليم والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
المرحلة الثانية

التاريخ الدولة العربية الاسلامية
في العصر الاموي
الفصل الاول
المحاضرة السادسة

اولاً: يزيد بن عبدالملك (١٠١ - ١٠٥هـ):

ثانياً: هشام بن عبدالملك (١٠٥ - ١٢٥هـ)

ثالثاً: الوليد بن يزيد بن عبدالملك (١٢٥ - ١٢٦هـ)

رابعاً: يزيد بن الوليد بن عبدالملك (١٢٦ - ١٢٧هـ)

خامساً: إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك (١٢٧هـ)

سادساً: الاوضاع السياسية في عهد مروان الثاني

استاذ المادة :
أ.م.د. زياد علي عبدالله

الاسبوع السادس

اولاً: يزيد بن عبدالملك (١٠١ - ١٠٥هـ):

هو «يزيد بن عبدالملك بن مروان، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان»، ولد في دمشق» سنة (٧١هـ) على وجه التقريب، وبويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه ابن عمه «عمر بن عبدالعزيز» في نهاية شهر رجب (١٠١هـ). وتدل أخباره قبل توليه الخلافة على أنه كان يحب العلم ومجالسة العلماء ، ولديه ميل إلى الاستقامة، وقد حاول بعد توليه الخلافة أن يقتدي بسلفه العظيم عمر بن عبد العزيز»، لكن قرناء السوء حالوا بينه وبين ذلك، وزينوا له حياة اللهو واللعب ويعبّر عن ذلك ابن كثير » بقوله: «فلما ولي «يزيد بن عبدالملك» الخلافة عزم على أن يتأسى بسيرة عمر بن عبد العزيز، فما تركه قرناء السوء، وحسنوا له الظلم». ولم تكن مناعة «يزيد » ضد الانغماس في حياة اللهو قوية، فاستجاب لقرناء السوء ورفاق اللهو، ولولا أن الدولة الأموية كانت زاخرة بالرجال الأفذاذ، وعامرة بالأبطال من أبناء الأسرة الحاكمة لانهارت في عصره، فقد عوّض هؤلاء عدم كفاية الخليفة لقيادة الدولة، ويأتي في مقدمتهم أخوه : مسلمة بن عبدالملك» فارس «بني مروان»، وابن أخيه «العباس بن الوليد بن عبدالملك»، وابن عمه مروان بن محمد بن مروان»، وقد نجح الأولان في القضاء على الثورة العارمة، التي أشعلها يزيد بن المهلب» سنة (١٠٢هـ)، أحد أبناء البيوتات العربية الطامحة إلى الخلافة بعد ما نجح فى السيطرة على معظم «العراق»، وعرض الدولة للسقوط، كما تصدّوا لحركات الخوارج وكل مناوئي الدولة، وحافظوا على سلامتها. ولم تطل خلافة «يزيد»، فقد تُوفي في أواخر شهر شعبان سنة (١٠٥هـ).

ثانياً: هشام بن عبدالملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) :

هو هشام بن عبد الملك بن مروان»، رابع أبناء «عبدالملك» الذين ولوا الخلافة أمه «أم هاشم بنت إسماعيل المخزومى»، ولد في دمشق» سنة (٧٢هـ)، وبويع له بالخلافة سنة (١٠٥هـ). ومع أن المصادر التاريخية لم تحدثنا كثيرًا عن حياته قبل الخلافة، وعما إذا كانت له مشاركة في تسيير أمور الدولة أم لا، فإنها تجمع على أنه كان ذا رأي وبصيرة ، وحكمة وفطنة، حازما ذكيا، له بصر بالأمور ، جليلها وحقيرها، محشوا عقلا على حسب تعبير «الطبرى». وكان من حسن الطالع للدولة الأموية وللمسلمين أن يخلف هشام بن عبدالملك» أخاه «يزيد»، فقد ظل في الخلافة نحو عشرين عامًا، أدار فيها الدولة بكفاية عالية، وأظهر حكمة سياسية في تعامله مع العربيتين الرئيسيتين في الدولة، وهما عرب الجنوب (اليمن)، وعرب الشمال (قيس)، فلم يتحيز

إلى كتلة ضد الأخرى، واحتفظ بعلاقة طيبة معهما ومع الجميع بصفة عامة، ولعل التي كفلت للدولة الاستقرار النسبي طوال حكمه. وقد تمتع «هشام» بعديد من الصفات اللازمة لرجل الدولة من حلم وتسامح وسعة صدر، وعدل وحزم، أما أبرز صفاته الإدارية على الإطلاق فهي قدرته الفائقة على تدبير الأموال وحسن التصرف فيها، مع تحري العدل في جمعها وإنفاقها على حد سواء، فنعمت الدولة في عهده باستقرار مالى كبير. وأظهر «هشام» كفاية عالية ومقدرة فائقة في إدارة الشئون الخارجية للدولة، فحافظ على هيبتها في عيون أعدائها، وبخاصة الدولة البيزنطية.

ثالثاً: الوليد بن يزيد بن عبدالملك (١٢٥ - ١٢٦هـ):

هو اول حفيد من أحفاد «عبدالملك بن مروان يتولى الخلافة، طبقًا لنظام الوراثة الذي سار هو أول حفيد من عليه الأمويون، إذا عَهِدَ «يزيد بن عبدالملك» إلى ابنه بالخلافة بعد أخيه «هشام بن عبدالملك». وتُعد خلافة الوليد بن يزيد بداية النهاية للدولة الأموية، وطليعة سقوطها؛ لأنه كان على شاكلة أبيه لهوًا ولعبًا، وإذا كان أبوه قد رزق من يعوض نقص كفايته في الحفاظ على سلامة الدولة، من إخوته وأبناء عمومته ، فإن «الوليد» لم يجد مثل هذا النوع من الرجال، بل ثار عليه أبناء عمومته من أبناء الوليد بن عبدالملك» وأخيه «هشام»، وشهد عصره أول انقسام داخلي بين الأسرة الأموية وأشده خطرًا. وقد حاول «الوليد» استرضاء الجند بزيادة رواتبهم، واستمالة الناس بزيادة أعطياتهم من الأموال الكثيرة التي تركها له عمه هشام بن عبدالملك» في خزانة الدولة، لكن ذلك لم يمنع الثائرين عليه من أبناء عمومته بزعامة «يزيد بن الوليد» من تلطيخ سمعته واتهامه بالفسق والفجور، والمبالغة في تلك التهم والتشهير به ؛ لأن ابن الأثير» يقول: «إن الوليد لم يكن على هذه الدرجة من السوء، غير أن خصومه نجحوا في خطتهم، وقتلوه في جمادى الآخرة سنة (١٢٦هـ)، فاتحين بذلك أبواب الشر على الدولة من كل جانب، مفجِّرين الثورات والفتن في كل مكان».

رابعاً: يزيد بن الوليد بن عبدالملك (١٢٦ - ١٢٧هـ):

هو أول أموى من أم غير عربية يتولى الخلافة، فأمه فارسية تُدعى «شاه أفريد بنت فيروز بن يزدجرد الثالث» آخر ملوك الفرس. تولى الخلافة بعد مقتل ابن عمه «الوليد بن يزيد» سنة (١٢٦هـ)، وحاول أن يظهر الصلاح والتقوى، ويتشبه بعمر بن عبد العزيز في عدله وزهده، ليمحو من أذهان الناس فعلته الشنعاء بابن عمه، لكنه لم ينجح في ذلك، إذ اضطربت عليه الأمور ، ونقم عليه الجند بعد أن أنقص أعطياتهم التي كان قد زادها الخليفة السابق، ولقبوه

«يزيد الناقص». وقد اضطربت الدولة في عهده اضطرابًا شديدًا، وجرَّ عليها بفعلته كوارث لا قبل لها بها ، وشغل أبناء الأسرة الأموية في صراعات داخلية دموية، في الوقت الذي كانوا فيه أحوج الناس إلى الوحدة والتضامن إزاء الدعوة العباسية التي نشطت استعدادًا للانقضاض على الدولة. وزاد الأمر سوءًا أن «يزيد» عجز عن المحافظة على سياسة التوازن بين القبائل العربية التي انتهجها عمه هشام بن عبد الملك»؛ فانحاز إلى أهل «اليمن» الذين ساعدوه في الثورة على «الوليد»؛ مما أغضب عرب «قيس»، فثاروا عليه في الشام معقل «بني أمية»، ثم أخذ الخلل والاضطراب يسريان في جميع أقاليم الدولة. وفي ظل هذه الأحداث الهائجة، والأجواء العاصفة توفي «يزيد» فجأة في نهاية سنة (١٢٦هـ)، بعد حكم لم يتجاوز ستة أشهر ، تاركًا الدولة غارقة في حالة من الفوضى والغليان.

خامساً: إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك (١٢٧هـ):

على الرغم من مبايعة بعض الناس لإبراهيم بالخلافة بعد وفاة أخيه «يزيد» الذي كان قد عهد إليه بالخلافة، فإن الأمر لم يتم له، ولم يستطع أن يمسك بزمام الأمور في الدولة التي انفرط عقدها، لذا يقول «الطبرى»: «كان الناس في جمعة يسلمون على إبراهيم بن الوليد بالخلافة، وفي الأخرى بالإمارة، وفي الثالثة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمارة»، كما رفضت معظم أقاليم الشام بيعته، وحملته هو وأخاه «يزيد» مسئولية قتل «الوليد بن يزيد» وما ترتب على ذلك من فتن وشرور .

وفي هذه الأثناء تحرك مروان بن محمد بن مروان، والي أرمينيا» و «أذربيجان»، لإنقاذ الدولة من السقوط والضياع، بعد أن هاله وأفزعه ما أقدم عليه أبناء عمومته، وقدم إلى دمشق» على رأس ثمانين ألف جندي، للقضاء على إبراهيم بن الوليد» الذي هرب، فدخلها في ربيع الآخر سنة (١٢٧هـ)، وبايعه الناس ،بالخلافة، مؤملين إنقاذ الدولة من الضياع، ولكن كان للأقدار رأي آخر، فقد شاءت أن تكتب في عهده شهادة وفاة تلك الدولة. مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (١٢٧) – ١٣٢هـ): هو آخر خلفاء بني أمية»، ولي حكم «أرمينيا » و «أذربيجان» منذ خلافة ابن عمه «هشام بن عبدالملك»، وكان من أكفأ الولاة، وأكثرهم خبرة وبصرًا بالأمور ؛ فارسا شجاعًا، بطلا مقدامًا ، غيورًا على ملك «بنى أمية » . أدرك « مروان» عواقب مقتل «الوليد بن يزيد» على البيت الأموى، فخرج من «أرمينيا» قاصدًا «دمشق»؛ ليثأر لمقتل «الوليد»، لكن الخليفة الجديد «يزيد بن الوليد ترضاه، ورجاه أن يرجع ، ووعده بإصلاح الأحوال، فرجع مؤملا أن الخليفة بوعده، غير أن الخليفة تُوفِّي فجاءة، تاركًا الدولة وأحوالها

مضطربة، لأخيه «إبراهيم»، الذي عجز عن النهوض بأعباء الخلافة مما دفع «مروان» إلى التحرك من ، قاصدًا «دمشق»، ليجد «إبراهيم» قد غادرها هربًا، فيدخلها ، ويبايع له بالخلافة، ليقوم بآخر محاولة لإنقاذ الدولة الأموية، التي شاءت الأقدار أن تكون نهايتها على يديه.

سادساً: الاوضاع السياسية في عهد مروان الثاني:

اصبح الحكم الأموي بعد مقتل الوليد الثاني يستند الى جماعات متنافرة ليس لها هدف يجمعها ويوحد كلمتها ووجدت في المجتمع الاسلامي تيارات متعددة يرتبط كل منها بفئة اموية او يقف موقف المعارض استنادا الى مصالحه الدنيوية وطبيعي نتيجة ذلك ان تضعف القاعدة وتتفكك ويضطرب رأس الهرم وتعم الفوضى العاصمة المركزية وعواصم الاطراف في ظل هذه الاجواء وجد الناقمون على بني امية والثائرون على حكمهم والمتأمرون على البيت الاموي الذي يتهيأون لانتزاع السلطة منهم ان الفرصة مؤاتية لانزال الضربة القاضية لهذه الاسرة الأموية المفككة والمتناحرة فيما بينها.

وهكذا كثرت الاضطرابات وعمت الفتن الاطراف وظهر المغامرون وطلاب الثروة والجاه يريدون ان يحققوا ما عجزوا عن تحقيقه حين كانت الدولة متماسكة، فجماعة العباسيين الذين اخذوا يتحينون الفرص لتوسيع رقعة دعوتهم والتهيؤ للانقضاض على الدولة الأموية الممزقة وجماعة الشيعة والخوارج وبعض القوى القبلية المتربصة بالحكم الأموي تتحين الفرصة للوثوب وخلع الطاعة واستلام الحكم. ومن العوامل التي هيأت الجو لقيام الثورات على حكم مروان الثاني نقل العاصمة والصراع على السلطة بين افراد البيت الاموي والنزاع القبلي.

والحقيقة انه بعد ان تم الامر لمروان الثاني واستقر له الحكم في بلاد الشام اقام بحران وجعلها حاضرته وهذا طبيعي بفعل نشأته فيها في ظل غلبة القيسية وقد ادى ذلك الى انحراف اليمنية عن وانضمامهم الى الدعوة العباسية وقد اساء نقل العاصمة من دمشق الى حران الى اهل الشام عامة اذ شعروا بانهم خسروا المركز الممتاز لدمشق وما كان ذلك من خيرات تتدفق عليهم لذا عمت النقمة بلاد الشام. كان مروان متعصبا لامويته وحاول جاهدا ان يتلافي الخلل والاحتفاظ ببقاء الحكم في اسرته فبايع لابنيه عبيد الله وعبد الله وحرص على تلاحم مختلف الفئات الاموية فزوج ولديه من ابنتي عبد الملك لكن الصراع داخل البيت الاموي قد بلغ حدا مما لا ينفع معه علاج واعتمد مروان الثاني على القيسية لانه قام اساسا يطالب بدم الوليد الثاني كما ان الجزيرة مستقر ولايته كانت معقل القيسيين فاعتبرت القبائل اليمنية التي الفت وجود حلفاؤها في السلطة ذلك تحديا مما دفعها للقيام بانتفاضات ضد السلطة خاصة في فلسطين وتكمن خطورة هذا

الانقسام القبلي الذي قام في ذلك الوقت في انه حدث في قلب الدولة الأموية في دمشق ولهذا كان الاضطراب في بلاد الشام ايذانا باضطراب امر الدولة كلها وكان من الطبيعي ان يواجه مراون التحدي بمثله الا انه حاول في باديء الامر ان يهدأ الخواطر وان يبعث الثقة في النفوس لاسترضاء العناصر العربية المختلفة كما اظهر حسن نية تجاههم بان ترك لهم اختيار ولاتهم مظهرا بذلك مرونة سياسية، الا ان الاوضاع السيئة وصلت الى نقطة اللاعودة وكان على مروان الثاني ان يدفع ثمن اخطاء من سبقه من الحكام.

الواقع ان انهماك مروان الثاني في اخماد الثورات والفتن شغله عن الاهتمام بما كان يجري في المشرق خاصة في خراسان التي مركزاً للدعوة العباسية وقد انتشرت في المنطقة انتشاراً واسعاً، واستقامت الامور فيها لبني العباس، مما ادى الى اقتناع الدعاة العباسيين بان الوقت قد حان للجهر بها. وفعلاً حصل هؤلاء الدعاة على موافقة ابراهيم الامام، الذي كان يعيش في الحميمة على الجهر بالدعوة والخروج على الأمويين. وقد تولى ابو مسلم الخراساني، الذي اضحى رئيساً للدعوة في خراسان، اخذ البيعة تحت شعار البيعة الى الرضا من آل محمد.

ادرك نصر بن سيار ، عامل مروان على ،خرسان، ما يشكله ابو مسلم من خطر على الدولة الأموية، فبعث برسالة عاجلة الى دمشق يشرح فيها حالة الفوضى التي سادت خراسان وخطر ابي مسلم الذي كان يتزايد يوماً . بعد يوم، ويطلب مدداً من الخليفة.

ويبدو ان مروان كان عاجزاً ، انذاك، عن اجابة طلب واليه، ولم يستطيع ان يفعل شيئاً سوى ان يمنيه بالوعود، ويزوده بالنصائح، مما اتاح لابي مسلم السيطرة التامة على خراسان ولم يتمكن نصر من الصمود امامه فتقهقر الى نيسابور ومعه انصاره من العرب الذين هربوا من خراسان ثم حدث أن انتقلت القيادة العباسية العليا في العراق الى قحطبة بن شبيب الطائي وهو عربي، الذي سارع الى الاصطدام بقوات نصر وتغلب عليها الخلافة بعد ان ادركت خطورة الوضع، وضرورة مساندة صمود ،نصر، فابتدات بذلك جولة اخرى من الاصطدامات كان النصر فيها حليف القوات العباسية ومات نصرن سيار بالري في شتاء عام (١٣١هـ / ٧٤٨م) بعد وقعة اصفهان في جو الهزيمة القاتم.

ثم اتجه قحطبة نحو العراق ليصطدم بالقوات الاموية بقيادة ابن هبيرة، والي مروان على العراق، وتغلب عليها وهم بدخول الكوفة الا انه غرق وهو يعبر نهر الفرات. ودخلت القوات العباسية المدينة بقيادة حميد بن قحطبة في شهر ربيع الاول عام ١٣٢هـ شهر تشرين الاول عام (٧٤٩م) وسلم الامر الى ابي سلمة الخلال الذي اضحى وزير ال محمد .

وبويع في الكوفة لعبد الله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس المعروف بابي العباس، وقد كان اخوه ابراهيم الامام قد عهد اليه الدعوة عندما قضى عليه مروان الثاني انذاك بعدما افتضح أمره؛ ليصبح اول خليفة عباسي وبعد ان تم له الامر في العراق ارسل جيشاً، بقيادة عمه عبد الله بن علي، التقى بجيش مروان الثاني على نهر الزاب، وهو احد فروع نهر دجلة. وكانت الانتصارات التي حققتها الثورة، حتى ذلك التاريخ، قد اضعفت معنويات الجيش الاموي فاحجمت بعض وحداته عن خوض المعركة ومنها الوحدات اليمنية، ربما بدافع العصبية من جهة ومن التاخير في دفع مرتبات الجند من جهة اخرى، وعصت هذه الوحدات اوامر مروان في تلك اللحظة الحرجة.

ودارت بين الجيشين الاموي والعباسي رحى معركة عنيفة في شهر جمادى الاخرة عام ١٣٢ هـ / شهر كانون الثاني عام ٧٥٠م استمرت احد عشر يوماً انتهت بهزيمة مروان الذي انسحب بعد معركة باتجاه الموصل، لكن المدينة اغلقت أبوابها في وجهه مما دفع الى الانسحاب نحو حران مقره السابق، الا ان الجيش العباسي ظل يطارده فانسحب الى حمص فد مشق فالاردن ثم فلسطين. وكانت المدن في هذه البلاد تفتح ابوابها للجيش العباسي باستثناء مدينة دمشق دخلها العباسيون عنوة.

وعهد عبد الله بن علي الى اخيه صالح بمطاردة ،مروان بعد ان تجاوز الشام ووصل مروان في غضون ذلك الى مصر بعد أن تخلى عنه انصاره وتوقف في قرية بوصير الصغيرة في منطقة الفيوم حيث داهمته في الليل قوة عسكرية. وقام مروان حتى خر صريعاً، وانتهت بمقتله ايام دولة الخلافة الأموية، وكان ذلك في عام (١٣٢هـ / ٧٥٠م) . ولا يستطيع أحد أن يلوم «مروان» أو يحمله مسئولية زوال الدولة، فعوامل سقوطها كانت تتفاعل وتعمل من زمن بعيد، وكتب له أن يجني وحده الثمار المرة لأخطاء من سبقه، على الرغم مما بذله من جهد ومثابرة، وعزم لا يلين، فحارب في أكثر من ميدان ، وصارع أحداثًا عدّة، كانت كلها ضده، وأول خطر واجهه هو انقسام البيت الأموى شيعًا وأحزاباً ، وإشعال أبناء عمومته الثورات العارمة ضده ده في الشام و «العراق»، ثم انقسام القبائل العربية؛ حيث وقفت القبائل اليمنية في وجهه، وهم الأنصار التقليديون لبني أمية، وانفجار المشكلات في أنحاء الدولة كلها من «الأندلس» حتى بلاد «خراسان» و «ما وراء النهر ». وفي الوقت الذي يواجه فيه «مروان» كل هذه الظروف الصعبة ، منتقلا من ميدان إلى ميدان ومن جبهة إلى أخرى دون كلل أو ملل، محاولا إنقاذ الدولة، وبث روح الحياة فيها، وتجديد الدماء في أوصالها - تفاجئه رايات العباسيين منحدرة من «خراسان» كالسيل المنهمر، مكتسحة كل قواته في طريقها، ولم تتوقف إلا بهزيمته وهو على

رأس جيوشه في معركة على «نهر الزاب» بالعراق، في شهر جمادى الآخرة سنة (١٣٢هـ) . ولم يجد «مروان» طريقًا سوى الهرب إلى «مصر»، غير أن العباسيين لاحقوه إلى هناك، واستطاع صالح بن علي بن عبدالله عباس»،عم أول خليفة عباسي أن يقتله في قرية تُسمَّى «زاوية المصلوب» التابعة لبوصير الواقعة جنوبي «الجيزة»، في ذى الحجة سنة (١٣٢هـ).

وهكذا اسدل الستار على حياة اسرة حكمت دولة الاسلام ما يقرب من قرن من الزمن، حققت خلاله لامتنا الاسلامية مالا يمكن حصره من منجزات وعطاءات في مختلف الحياة . ويمكننا ان نعتبر ان العصر الاموي، هو العصر الذي تبلور فيه وعي عربي ظل متمكناً طالما احتفظ العرب بموقع السيادة في المجتمع .